

## التحرير والتنوير

والكلام يتحمل آرفة في الدنيا من جنس ما أهلك به عاد وثمود وقوم نوح فهي استئصالهم يوم بدر، ويتحمل آرفة وهي القيامة . وعلى التقديرين فالقرب مراد به التحقق وعدم الانقلاب منها قوله تعالى ( اقتربت الساعة ) وقوله ( إنهم يرونها بعيداً ونراها قريباً ) . وجملة ( ليس لها من دون الله كاشفة ) مستأنفة بيانية أو صفة ل ( الآرفة ) . و ( كاشفة ) يجوز أن يكون مصدر بوزن فاعلة كالعاافية، وخائنة الأعين وليس لوقعتها كاذبة . والمعنى ليس لها كشف .

ويجوز أن يكون اسم فاعل قرن بهاء التأنيث للمبالغة مثل راوية، وباقعة وداهية، أي ليس لها كاشف قوي الكشف فضلاً عن دونه .

والكشف يجوز أن يكون بمعنى التعرية مراد به الإزالة مثل ويكشف الضر، وذلك ضد ما يقال : غشية الضر .

فالمعنى : لا يستطيع أحد إزالة وعيدها غير الله، وقد أخبر بأنها واقعة بقوله ( ليس لها من دون الله كاشفة ) كناية عن تحقيق وقوعها .

ويجوز أن يكون الكشف بمعنى إزالة الخفاء، أي لا يبين وقت الآرفة أحد له قدرة على البيان على نحو قوله تعالى ( لا يجلبها لوقتها إلا هو ) . فالمعنى : أن الله هو العالم بوقتها لا يعلمه أحد إلا إذا شاء أن يطلع عليه أحداً من رسليه أو ملائكته .

و ( من دون الله ) أي غير الله، و ( من ) مزيدة للتأكيد، وهو متعلق بالكون الذي ينوى في خبر ليس في قوله ( لها ) .

( ألم من هذا الحديث تعجبون [ 59 ] وتضحكون ولا تبكون [ 60 ] وأنتم سامدون [ 61 ] ) تفريع على ( هذا نذير من النذر الأولى ) وما عطف عليه وبين به من بيان أو صفة، فرع عليه استفهام إنكار وتوبیخ .  
والحديث : الكلام والخبر .

والإشارة إلى ما ذكر من الإنذار بأخبار الذين كذبوا الرسل، فالمراد بالحديث بعض القرآن بما في قوله ( ألم بهذا الحديث أنتم مدحون ) .

عن كناية أو ، ( الله أمر من أتعجبين ) قوله والإحاللة الاستبعاد هنا العجب ومعنى الله الإنكار .

والضحك : ضحك الاستهزاء .

والبكاء مستعمل في لازمه من خشية الله كقوله تعالى ( ويخرؤن للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً

ومن هذا المعنى قول النبي ﷺ للMuslimين حيث حلوا بحجر ثمود في غزوة تبوك " لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا إلا أن تكونوا باكين أن يصيّبكم مثل ما أصابهم " ، أي صارعين ﷺ أن لا يصيّبكم مثل ما أصابهم أو خاسعين أن يصيّبكم مثل ما أصابهم .

والمعنى : ولا تخشون سوء عذاب الإشراك فتقلعوا عنه .

وسامدون : من السمود وهو ما في المرء من الإعجاب بالنفس، يقال : سمد البعير، إذا رفع رأسه في سيره، مثل به حال المتكبر المعرض عن النصح المعجب بما هو فيه بحال البعير في نشاطه .

وقيل السمود : الغناء بلغة حمير، والمعنى : فرحون بأنفسكم تتغنون بالأغاني لقلة الاكتراش بما تسمعون من القرآن كقوله ( وما كانت صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية ) على أحد تفسيرين .

وتقديم المجرور للقصر، أي هذا الحديث ليس أهلا لأن تقاولوه بالضحك والاستهزاء والتکذيب ولا لأن لا يتوب سامعه، أي لو قابلتم بفعلكم كلاما غيره لكان لكم شبهة في فعلكم، فأما مقاولتكم لهذا الحديث بما فعلتم فلا عذر لكم فيها .

( فاسجدوا ﷺ واعبدوا [ 62 ] ) تفريع على الإنكار والتوبية المفرعين على الإنذار بالوعيد، فرع عليه أمرهم بالسجود ﷺ لأن ذلك التوبية من شأنه أن يعمق في قلوبهم فيفهمون مما هم فيه من البطر والاستخفاف بالداعي إلى الله . ومقتضى تناسق الضمائر أن الخطاب في قوله ( فاسجدوا ﷺ واعبدوا ) موجه إلى المشركين .

والسجود يجوز أن يراد به الخشية كقوله تعالى ( والنجم والشجر يسجدان ) . والمعنى : أمرهم بالخضوع إلى الله والكف عن تکذيب رسوله وعن إعراضهم عن القرآن لأن ذلك كلّه استخفاف بحق الله وكان عليهم لما دعوا إلى الله أن يتذمروا وينظروا في دلائل صدق الرسول والقرآن . ويجوز أن يكون المراد سجود الصلاة والأمر به كناية عن المر بأن يسلموا فإن الصلاة شعار الإسلام، ألا ترى إلى قوله تعالى ( ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المسلمين ) ، أي من الذين شأنهم الصلاة . وقد جاء نظيره الأمر بالركوع في قوله تعالى ( وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون ) في سورة المرسلات فيجوز فيه المحملان